

تفسير أبي السعود

طه 104 108 وإلا فحالهم أظع من أن تمكنهم من الاشتغال بتذكر أيام النعمة والسرور واستقصارها والتاسف عليها نحن أعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم إذ يقول أمثلهم طريقة أي أعد لهم رايًا أو عملاً إن لبثتم إلا يوماً ونسبة هذا القول إلى أمثلهم استرجاع منه تعالى له لكن لا لكونه أقرب إلى الصدق بل لكونه أدل على شدة الهول ويسألونك عن الجبال أي عن مآل أمرها وقد سأل عنه رجل من ثقيف وقيل مشركو مكة على طريق الاستهزاء فقل ينسفها ربي نفسا أي يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها والفاء للمسارعة إلى إلزام السائلين فيذروها الضمير إما للجبال باعتبار أجزائها السالفة الباقية بعد النسف وهي مقارها ومراكزها أي فيذر ما انبسط منها وساوى سطحه سطوح سائر أجزاء الأرض بعد نسف ما نتا منها ونشروا إما للأرض المدلول عليها بقرينة الحال لأنها الباقية بعد نسف الجبال وعلى التقديرين يذر الكل قاعاً صاففاً لأن الجبال إذا سويت وجعل سطحها مساوياً لسطوح سائر أجزاء الأرض فقد جعل الكل سطحاً واحداً والقاع قيل السهل وقيل المنكشف من الأرض وقيل المستوي الصلب منها وقيل ما لا نبات فيه ولا بناء والصفصف الأرض المستوية الملساء كان أجزاءه صف واحد من كل جهة وانتصاب قاعاً على الحالية من الضمير المنصوب أو هو مفعول ثانٍ ليدر على تضمين معنى التصيير وشففاً إما حال ثانية أو بدل من المفعول الثاني وقوله تعالى لا ترى فيها أي مقار الجبال أو في الأرض على ما مر من التفصيل عوجاً بكسر العين أي اعوجاجاً ما كأنه لغاية خفائه من قبيل ما في المعاني أي لا تدركه إن تأملت بالمقاييس الهندسية ولا أمّا أي نتوءاً يسيراً استئناف مبين لكيفية ما سبق من القاع الصفصف أو حال أخرى أو صفة لقاعاً والخطاب لكل أحد ممن تأتي منه الرؤية وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر مع ما فيه من طول ربما يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم يومئذ أي يوم إذ نسفت الجبال على إضافة اليوم إلى وقت النسف وهو ظرف لقوله تعالى يتبعون الداعي وقيل بدل من يوم القيامة وليس بذاك أي يتبع الناس داعي D إلى المحشر وهو إسرافيل عليه السلام يدعو الناس عند النفخة الثانية قائماً على صخرة بيت المقدس ويقول أيتها العظام النخرة والأوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومي إلى